

طريق النزاهة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

صدق الله العلي العظيم

سورة الشمس: ٩-١٠

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم..
والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية..
والمعاناة السياسية والاجتماعية التي نقاسيها بمضض..
وفوق ذلك كله الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئن من وطأتها العالم أجمع..
والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي
تلائم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرة في حل جميع أزماته
ومشكلاته في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة..
والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة
الدينية الحيّة، وبث الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم
خريطة المستقبل المشرق بأهداب الجفون وذرف العيون ومسلات الأنامل..
كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بإعداد مجموعة من المحاضرات التوجيهية
القيمة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد محمد الحسيني
الشيرازي (دام ظله) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية
والاجتماعية، وقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض
الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد..
وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل:

﴿لَيْتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١).

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وانذار الأمة،
ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في كل موقفه وشؤونه..

كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

ان مؤلفات سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)

تتسم بـ:

أولاً: التنوع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها إنعكاساً لشمولية
الإسلام..

فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام
المختلفة، بدءاً من موسوعة الفقه التي تجاوزت . حتى الآن . المائة والخمسين مجلداً،
حيث تعد إلى اليوم أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية مروراً بعلوم الحديث
والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم
الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع
والتي قد تتجاوز مجموعها الـ(١٥٠٠) مؤلفاً.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن والسنة وتستلهم منهما الرؤى
والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية لمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول)
و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

وبشواهد من مواقع الحياة.

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية لسماحة المرجع (دام ظلّه) والتي تقارب التسعة آلاف محاضرة ألقاها سماحته في فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لإعداد ونشر ما يتواجد منها، وأملاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من إكمال سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين،
واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين^(٣).

في البدء

جاء في كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق (قدس سره)، عن النبي (صلى الله
عليه وآله) قال: «قال الله جل جلاله لموسى: يا موسى، لو أن السماوات
وعامريهن والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا
الله»^(٤).

بمعنى، أن السماوات والأرض لو وضعتا في كفة ميزان، ووضعت في كفته الأخرى
كلمة لا إله إلا الله، لكانت كلمة لا إله إلا الله أثقل في الميزان، وهذا على سبيل
التشبيه؛ وإلا فإن في منطق الواقع لا يمكن أن تقاس المعنويات بالماديات، أو توضع
المعنويات مقابل الماديات في ميزان؛ لأن المادة لها حجم ومكان وزمان وغير ذلك،
فهي لا توزن ولا تقاس إلا بالمقياس المادي.

أما المعنويات، فهي حقائق مجردة عن مظاهر المادة من الحجم والمكان وغير

(٣) ألفت هذه المحاضرة بتاريخ: ٩ / جمادى الثانية / ١٤٠٦ هـ.

(٤) التوحيد: ص ٣٠ ب ١ ح ٣٤.

ذلك، فلا يمكن أن تقاس بمقياس المادة لعدم السنخية بين الشيئين.
نعم، المعنويات تحس وتدرک بالحواس الباطنة للإنسان.

المعنويات وأثرها على الماديات

ينقل المرحوم الوالد (قده)^(٥): إن الألمان جاءوا ذات مرة إلى العراق من أجل القيام بالحفر والتنقيب عن الآثار القديمة في سامراء، فاستأجروا مجموعة من العمال لغرض القيام بالحفر، وكان من بين العمال شخص فقير الحال، وعند المباشرة بالتنقيب والحفر عثر هذا الشخص فجأة على قطعة من الجواهر الثمينة بحجم بيضة الدجاجة، فذهب بها إلى بغداد لبيعها دون أن يخبر بها أحداً، فباعها بخمسين ألف روبية^(٦)، بحيث صار في ذلك الحين من التجار المعروفين في البلاد، فبالرغم من أن هذه القطعة من الجواهر الصغيرة جداً مادياً ولم يكن لها وزن محسوس، لكنها تميزت بقدمها وتراثها وتمثيلها لحضارة عريقة، فأعطتها ثقلاً معنوياً، فارتفعت قيمتها وثنيتها بهذا الشكل الباهظ.

فالمعنويات تعطي الشيء قيمة أكثر بكثير مما تعطيه الماديات، ومن هنا كان اعتقادنا أن الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» وان لم يكن لها ثقل مادي، إلا أنها تحمل قيمة كبيرة جداً من ناحية الروح والمعنويات، وهكذا كل شيء، إذ وإن كانت صغيرة الحجم لكنها ذات قيمة عالية بل قد لا تقدر بثمن.

الروايات تؤكد ذلك

(٥) هو السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (قده) ولد في كربلاء المقدسة (١٣٠٤هـ) كان □ عالماً تقياً، ورعاً عابداً، زاهداً كثير الحفظ جيد الخط، وكان صاحب كرامات، وهو (قده) من خيرة تلاميذ الشيخ محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين في العراق)، توفي في (٢٨ شعبان عام ١٣٨٠هـ) ودفن في الحرم الحسيني الشريف.

(٦) الروبية: العملة المتداولة في ذلك الوقت في العراق إبان الحكم العثماني.

ومما يدل على أهمية المعنويات، ما دل على أنّ الأشياء العظيمة لا تحصل إلا بها.

روي في البحار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أنه جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، هل للجنة من ثمن؟ قال (صلى الله عليه وآله): نعم، قال: وما ثمنها؟ قال (صلى الله عليه وآله): لا إله إلا الله يقولها العبد الصالح مخلصاً بها قال: وما إخلاصها؟ قال: العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيتي، قال: فذاك أبي وأمي وإن حب أهل البيت لمن حقّها؟ قال: إن حبهم لأعظم حقّها»^(٧).

وفي رواية أخرى، جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما رأس العلم؟ قال: «معرفة الله حق معرفته..»^(٨).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «ما من الكلام كلمة أحبّ إلى الله عزوجل من قول لا إله إلا الله، وما من عبد يقول: لا إله إلا الله يمدّ بها صوته فيفرغ إلا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها»^(٩).

فالجنة وتناثر الذنوب لا تكون إلا بالأمور المعنوية فهذا يدل على أهميتها؛ لأن هناك سنخية بين الأثر والمؤثر كما لا يخفى.

(٧) بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٣ ب ١ ح ٣٠.

(٨) جامع الأخبار: ص ٥ الفصل ١ في معرفة الله تعالى.

(٩) التوحيد للصدوق: ص ٢١ ب ١ ح ١٤.

صفات العلماء العاملين

ثم من بعد أن ظهرت القيمة المعنوية نقول لطلاب علوم الدين:
إن النزاهة من الصفات التي يجب عليهم أن يوفروها في أنفسهم، كما يجب أن تتوفر فيهم الخفة وعدم الثاقل والتكاسل، بحيث يكون طالب العلم خفيفاً وذا همة عالية في أداء عمله ووظيفته، لا أن يكون ثقيلاً متثاقلاً كما عبر القرآن الكريم عن ذلك حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١٠) أي: أبطأتم في أعمالكم.

والنزاهة بالمعنى الأخلاقي تعني: أن لا يفعل الإنسان العمل القبيح، قلباً، وعيناً، وأذنًا، وأنفًا وفماً، بل كل جوارحه وجوانحه لا بد أن تكون نزيهة من فعل القبيح والمعصية.

طبعاً النزاهة الواقعية هي أمر مشكل جداً ويصعب الوصول إليها، لكن لا بد من تحصيل ذلك ولا يمكن تحصيل النزاهة بالادعاء؛ إذ قد يكون يدعي ذلك وواقعه خال من أي نزاهة، ولا يلزم أن يظهر ذلك على الآخرين حيث يخفى عليهم؛ لأن الحقيقة سوف تكشف في يوم من الأيام، وإن كان تمييز الحق من الباطل عملاً في غاية الصعوبة، إلا أنه ليس مستحيلاً، وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾^(١١).

(١٠) سورة التوبة: ٣٨.

(١١) سورة البقرة: ١٤٨.

وقد جاء في الروايات^(١٢): أن الله ومنذ اليوم الأول لخلق الخلق خلط الحق والباطل ووضع الدنيا محلاً لهما، حتى يمتحن الناس بذلك، وإلا فإن الله القدرة بأن يعطي للناس القوة المميزة بين الحق والباطل، لكن إن تم ذلك لما كان هناك حاجة لامتحان الناس، وكانت فلسفة الاختيار تسقط لأن الناس أجمع كانوا يطلبون الحق حتى ذلك الشخص الذي يعمل خلاف الشرع يأتي . في مقام إقامة الدليل . بأدلة يعتقد أنها شرعية في غالب الأحيان، وان الله تعالى خاطبنا بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(١٣).

فالأية الكريمة تخاطب جميع المكلفين من الناس، لأنهم محل الاختبار والامتحان الذي أشرنا له. فالعاملون بحقل الدين أكثر ابتلاءً بهذا الخطاب، فعليهم أن يكونوا أكثر صواباً وامتثالاً للأوامر واجتناباً عن النواهي، لتتوفر فيهم النزاهة الواقعية والروحانية التي بها يتمكنون من توجيه الناس وإرشادهم.

وجاء في الروايات انه سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ما عني به؟ فقال: «يقول أيكم أحسن عقلاً» ثم قال (صلى الله عليه وآله): «أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً وان كان أقلكم تطوعاً»^(١٤).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ليس يعني أكثركم عملاً ولكن

(١٢) أنظر الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٧ احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) وفيه: عن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): «أن أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته بل اختبرهم بالبلوى، وكما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.»

(١٣) سورة الملك: ٢.

(١٤) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٢٢ في تفسير سورة الملك الآية ٢.

أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة . ثم قال . الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عزوجل، والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل . ثم تلا . قوله عزوجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(١٥) يعني على نيته»^(١٦) .

النزاهة دروس وعبر

□ النزاهة عند النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة □

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار □ أسوة حسنة بالنزاهة الروحية والبساطة في العيش الواقعية لا التظاهرية، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «فتأس بنبيك الأطهر الأطيب (صلى الله عليه وآله) فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله تعالى المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرقًا، أهضم أهل الدنيا كشحًا، وأخصهم من الدنيا بطنًا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصعّر شيئاً فصعّره، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله وتعظيمنا ما صعّر الله لكفى به شقاقاً لله ومحادةً عن أمر الله. ولقد كان (صلى الله عليه وآله) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخسف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه، ويكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّساوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه، غيبية عني؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت

(١٥) سورة الإسراء: ٨٤ .

(١٦) الكافي: ج ٢ ص ١٦ باب الإخلاص ح ٤ .

الدنيا وزخارفها. فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه؛ لكيلا يتخذ منها ريشاً ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يدلُّك على مساوئ الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته.

فلينظر ناظرٌ بعقله، أ أكرم الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، كذب وأتى بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس، فتأسى متأس بنبيّه واقتص أثره وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة؛ فإن الله جعل محمداً (صلى الله عليه وآله) علماً للساعة ومبشراً بالجنة و منذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله وأجاب داعي ربه إلى آخره»^(١٧).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريظة والتضير على حمار مخطوم بجبل من ليف تحته إكاف من ليف.^(١٨)

وروي عن أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام) . سويد بن غفلة . فقال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره فقلت:

يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟ فقال (عليه السلام): «يا ابن غفلة ان البيت (العاقل) لا يتأثت في دار

(١٧) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٥٥ ب ٦٣ ح ١٣٤٩٨.

(١٨) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٢٦٩ ب ١٣ ح ٩٤١٧.

النقلة، ولنا داراً قد نقلنا إليها خير متاعنا، وأنا عن قليل إليها صائرون»^(١٩).
و من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله
على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها فكتب (عليه
السلام) إليه:

«أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك إلى
مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك
تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيهم مدعوّ فانظر إلى ما تقضمه من هذا
المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فقل منه. ألا وإنّ
لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من
دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني
بورع واجتهاد وعقّة وسداد. فوالله، ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادّخرت من
غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت
منه إلا كقوت أتان دبّرة، ولهي في عيني أوهى و أوهن من عفصة مقرة. بلى كانت
في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّماء، فشخّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها
نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك والنّفس مظانّها في
غد جدث، تنقطع في ظلّمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها،
وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التّراب المتراكم، وإنّما هي
نفسى أروضها بالتّقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر و تثبت على جوانب المزلق،
ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل، و لباب هذا القمح ونسائج
هذا القزّ، ولكن هيهات، أن يغلبني هواي ويقودني جسعي إلى تخيّر الأطعمة ولعلّ
بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشّبع. أو أبيت مبطاناً
وحولي بطون غرثي وأكباد حريّ أو أكون كما قال القائل:

(١٩) عدة الداعي: ص ١٢١.

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القَدِّ
أأفنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو
أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟

فما خلقت ليشغلني أكل الطّيّبات كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسلّة
شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها، أو أترك سدى أو أهمل
عابثاً، أو أجزّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأنيّ بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن
قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإنّ الشجرة البريّة أصلب عوداً و الرّواتع الخضرة
أرقّ جلوداً والتّابّات العذية أقوى وقوداً و أبطأ خموداً. و أنا من رسول الله كالضوء
من الضوء والذّراع من العضد، والله، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها،
ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها. وسأجهد في أن أطهر الأرض من
هذا الشّخص المعكوس و الجسم المركوس حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد.
. ومن هذا الكتاب و هو آخره .:

إليك عنيّ يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسلت من محالبك، و أفلتت من
حبائلك، واجتنتب الدّهّاب في مداحضك. أين القرون الذين غررتهم بمداعبك، أين
الأمم الذين فتنّتهم بزخارفك؟ فما هم رهائن القبور و مضامين اللّحود.

والله، لو كنت شخصاً مرثياً وقالبا حسياً، لأقمت عليك حدود الله في عباد
غررتهم بالأمانيّ، وأمّم ألقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التّلف، وأوردتهم
موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر، هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب
لججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وقق، والسّالم منك لا يبالي إن ضاق به
مناخه، والدّنيا عنده كيوم حان انسلاخه. اعزبي عنيّ، فوالله لا أذلّ لك فتستذليّني،
و لا أسلس لك فتقوديني، وأيم الله، يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضنّ نفسي
رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، و

لأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغاً دموعها، أتمتلئ السائمة من رعيًا فتبرك، وتشبع الرّبيضة من عشبها فتربض، ويأكل عليّ من زاده فيهجع، قرّت إذاً عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيّة.

طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربّهم شفاهم، وتفشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون.

فاتّق الله يا ابن حنيف، وتكفّف أقراصك ليكون من النّار خلاصك» (٢٠).

القول مع العمل

روي عن أحد علماء شيراز: أن قسيساً جاء إلى شيراز لجذب الشباب المسلمين إلى المسيحية، وفعلاً استقطب عدداً من الشباب حوله.

يستمر ذلك العالم قائلاً: لقد تعجبت من عمل هذا المسيحي وأردت أن يكون لي لقاء معه؛ حتى أعرف السر الذي أدى إلى نجاحه في عمله، فذهبت إليه الساعة الثانية بعد الظهر، وعندما طرقت الباب وفتح الباب كان يرتدي ملابس النوم (بجامة)، ثم لما رأي بدا عليه الخجل من ارتدائه هذه الملابس أمام الضيف، فسارع إلى داخل المنزل ولبس لباساً آخر، وحينما دخلت المنزل تعجبت لبساطة المعيشة عند هذا الرجل، فسألته: هل لك راتب شهري تعيش من خلاله؛ لأني أرى أنك تعيش حياة بسيطة؟ فقال: في الحقيقة إني استلم راتباً شهرياً قدره ستين ألف تومان - وفي ذلك الزمان كان مبلغ أربعين ألف تومان يعادل راتب عشرين معلماً أو أكثر

(٢٠) نخب البلاغة، الكتب: ٤٥ كتابه (عليه السلام) إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف.

فكيف بستين ألف!!، إلا أنني أنفقه كله في طريق مساعدة المحتاجين.
وأضاف العالم قائلاً: إن غرفة ذلك القسيس كانت نظيفة جداً، ومفروشة
بالحصران العادية، وكان قد وضع أمامه نسخة من الإنجيل كتبت بخط جميل!!.
ومن هذه القصة وأمثالها تظهر لنا أهمية النزاهة الروحية، حيث أنها الطريق
لجذب الناس، وبهذه السياسة دخل هذا القس واستخدم النزاهة والزهد في التعرف
الظاهري . لأجل المصالح السياسية للاستعمار والكنيسة . فتمكن من خداع الناس
وكسب الشباب المسلم والرأي العام، لتحقيق مآرب الاستعمار الغربي، وقد كان
بعض الرهبان يمهّدون الطريق للاستعمار في بلادنا، في حين أن النزاهة الواقعية
والزهد ليس لمصلحة دنيوية . كما في هذا القسيس المسيحي . بل من أجل نيل رضا
الله تعالى في الدرجة الأولى والفوز بالآخرة في الدرجة الثانية.

ابن ميثم البحراني^(٢١) □

نقل بعض العلماء قصة عن ابن ميثم البحراني، وهو من علماء البحرين التي
كانت تعد في ذلك الزمان من مراكز الإسلام العلمية، حيث خرجت مجموعة من
العلماء الذين كان لهم دور كبير في تأريخ الشيعة، أمثال صاحب الحدائق^(٢٢) الفقيه

(٢١) هو في الأغلب الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة (٦٧٩هـ) وقيل

(٦٩٠هـ)، الحكيم الفاضل المعاصر لخواجة نصير الدين الطوسي. وهو صاحب شروح نهج البلاغة

المعروفة بالكبير والصغير والوسيط وغيره. أنظر رياض العلماء: ج ٦ ص ٣٣ باب الميم.

(٢٢) هو الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرزي البحراني صاحب كتاب (الحدائق الناضرة والدرر

النجفية ولؤلؤة البحرين وغيرها) ولد □ في قرية (ماحوز) في البحرين حيث كان هاجر والده عام

(١١٠٧هـ) تتلمذ على الشيخين أحمد بن عبد الله والشيخ عبد الله بن علي البلايين البحرانيين

وبعد رحلة مضية محفوفة بالمخاطر والويلات من بلاد إلى بلاد استقر □ في كربلاء المقدسة. توفي في

الكبير وغيره، قال: أرسل أهل إحدى مدن العراق التي كانت مركزاً للحوزات العلمية آنذاك رسالة إلى ابن ميثم يدعونه فيها ليأتي إلى النجف، فأراد ابن ميثم البحراني أن يختبر بعض المدرسين؛ لذلك قام بتبديل لباسه ودخل المدينة متنكراً ثم حضر درساً لأحد المدرسين وطرح سؤالاً على الأستاذ، وكان سؤاله ينبئ عن فضله ومعرفته وعلميته، أي كان إشكاله في محله، إلا أن الأستاذ لم يحترمه ولم يعط له جواباً، وفي اليوم الثاني ارتدى ابن ميثم البحراني ملابساً جيدة، وحضر نفس الدرس وعند نفس الأستاذ، فرأى أن الحاضرين في ذلك الدرس قد تفسحوا له وأجلسوه المكان المناسب، كما أنه طرح سؤالاً آخر ولكنه لم يكن في محله، ولعله لم يتناسب مع الموضوع، إلا أن الأستاذ أعطى لسؤاله أهمية بالغة وأجابه عليه.

فقال ابن ميثم: يظهر أن الأستاذ ظاهري لا أكثر، وتؤثر فيه المظاهر لا الواقعيات، وهذا مؤشر يدل على أن أكثر الناس عقولهم مرهونة بما تراه أعينهم من مظاهر؛ لذلك هم لا يستطيعون أن يدركوا المعنويات وأن يعيشوا بنزاهة، فيجب أن يكون عملهم واقعياً لا ظاهرياً.

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٢٣).

دلالة على أن من كان يريد الظاهر فقط فهو جاهل وغافل عن أمور الدين والآخرة، كما فيه دلالة على أن قيمة الإنسان في جوهره وباطنه، وليس بما يلبسه وبما يتظاهر به، فعلى الإنسان الاعتناء بباطنه وظاهره معاً؛ أما الباطن فلأن الله تعالى يحاسب الناس على ما في قلوبهم، وأما الظاهر فمن أجل إبراز نعم الله تعالى:

كربلاء عام (١١٨٦هـ) للمزيد راجع مقدمة كتابه الحقائق، وكتاب روضات الجنات: ج ٨ ص ٢٠٣

باب ما أوله الياء الرقم (٧٥٠).

(٢٣) سورة الروم: ٧.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٢٤) .

والى ذلك أشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله:...، ورجل لم يقدم رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا أو يجبس..» (٢٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً قال: «أن أولى الناس أن يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه (٢٦) فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، لكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل ذلك، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه (٢٧) فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ القرآن، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» (٢٨).

(٢٤) سورة الضحى: ١١ .

(٢٥) المحاسن: ج ١ ص ٤ الأول من الأشكال والقرائن ح ٨.

(٢٦) في بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩ ب ٥٤ ح ٢٤، وردت (نعمه) وليس (نعمة).

(٢٧) أيضاً في بحار الأنوار: (نعمه).

(٢٨) منية المرید: ص ١٣٤ الباب الأول في المعلم والمتعلم.

الحرام الفاضح

روي أن أحد الضباط الكبار . من ذوي الرتب العسكرية العالية . دعا رضا خان بهلوي^(٢٩) . أيام حكمه . إلى منزله، وبعد أن دخل رضا خان إلى المنزل رأى البيت واسعاً وجميلاً جداً، فتعجب لذلك كثيراً، فقرر أن يأتي بحديث يفهم من خلاله أن الضابط من أين جاء بهذه الأموال؛ لذا قال له: أنت صاحب ذوق وقد اخترت منزلاً جيداً، إلى أن وصل الكلام بينهما، حتى قال الضابط: إن هذا المال لم يحصل لي من التجارة ولا إرث من الآباء أو الأمهات.

وبما أن روايته من الجيش لم تكن تكفي لبناء هذا البيت الجميل أو شراؤه، فقال له رضا خان: إذن من أين حصلت على هذه الأموال؟

فلم يعط الضابط جواباً، فتوضح أنه حصل على الأموال، إما من طريق الغصب، أو الرشوة . والعياذ بالله . أو من طريق آخر غير مشروع؛ لأن المال إذا لم يأتك عن طريق الحق والحلال فهو من طريق الحرام، إذ لا فاصلة بين الحلال والحرام والحق والباطل^(٣٠).

(٢٩) رضا بهلوي (١٨٧٨-١٩٤٤م) شاه ايران ١٩٢٥م، حكم بالظلم والجور والاستبداد، ونشر الفساد، تنازل لابنه محمد ١٩٤١م.

(٣٠) حيث جعل الشارع طرقات انتقال الملكية إلى الغير وبدون سير هذه الأسباب والطرق كان حصول المال من الأكل بالباطل.

الطلاب وبساطة العيش

الشاهد من هذه القصة ومن غيرها هو ما يختص بطلاب العلوم الدينية؛ لأن طالب العلم غالباً ليس لديه كسب أو تجارة، فإذا عاش معيشة طاغوتية تسبب ابتعاد الناس عنه وعن حياته؛ لأنها تجعل الطالب مورد الاتهام، والناس ينفضون عن المتهم، وعن غير النزيه، وان كان ما حصل عليه هو من الرزق الحلال.

بل يلزم على طالب العلم والعامل به، وان كان غنياً أن يجتنب الأشياء المحللة له شرعاً إن كان العرف لا ولم يتحملها. كأن يعيش في قصر، أو يركب سيارة فخمة، أو يأكل طعاماً راقياً، وغير ذلك من الأمور التي تجعل بينه وبين عامة الناس بعداً وفوارق كبيرة، وإلا فكيف يمكن أن يكون قدوة للناس بحيث يأخذون منه تعاليم الإسلام؟! والى ذلك أشار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: «ولقد كان في رسول الله (صلى الله عليه وآله) كاف لك في الأسوة»^(٣١)، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبتها، وكثرة مخازيها ومساوئها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها^(٣٢)، وفطم رضاعها وزوي عن زخارفها.

وان شئت ثنيت بموسى كليم الله (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٣٣). والله ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف^(٣٤) صفاق^(٣٥)

(٣١) الأسوة: القدوة.

(٣٢) الأكناف: الجوانب، وزوي: قبض.

(٣٣) سورة القصص: ٢٤.

(٣٤) شفيف: رقيق، يستشف ما وراءه.

بطنه؛ لهزله وتشذب لحمه^(٣٦).

وان شئت ثلثت بداود (عليه السلام) صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده^(٣٧) ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وان شئت قلت في عيسى بن مريم (عليه السلام) فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها^(٣٨)، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم..»
(٣٩)

وأشار (عليه السلام) أيضاً إلى الصفات السيئة في بعض قادة المجتمع وذكر (عليه السلام) حرمة الرشوة في الحكام بشكل خاص بقوله (عليه السلام):
«وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نعمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع^(٤٠) ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٤١).

فاللازم على الطلاب أن يراعوا النزاهة الواقعية لا الظاهرية؛ ولا النزاهة لأجل

(٣٥) الصفاق: على وزن (كتاب) الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن.

(٣٦) تشذب اللحم: تفرقه.

(٣٧) السفائف: جمع سفيفة. وسف من (سف الخوص) إذا نسجه، أي منسوجات الخوص.

(٣٨) ظلاله: جمع ظل. بمعنى الكين والمأوى. ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كين له.

(٣٩) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

(٤٠) المقاطع الحديد التي عينها الله لها.

(٤١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١ وفيها يبين (عليه السلام) سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق.

الناس؛ ذلك ليستفيد الناس بهم وليكونوا مصداقاً واقعياً لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «اللهم ارحم خلفائي»، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(٤٢).

النزاهة والمراتب العليا

كان الشيخ عبد الكريم الحائري □^(٤٣) ابناً لكاسب بدخل بسيط، لكنه وبسبب علمه ونزاهته وطهارته وصل إلى مرتبة استطاع بها أن يوفق لتأسيس الحوزة العلمية في قم المقدسة.

وهناك جملة من علمائنا الماضين الذين امتازوا بنزاهتهم وطهارته القلب، فوصلوا إلى مرتبة عالية من الشرف والتقدير، كالشيخ أبي منصور أحمد بن علي

(٤٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٢٠ باب النوادر ح ٥٩١٩.

(٤٣) هو الشيخ عبد الكريم بن المولى محمد جعفر المهرجردي اليزيدي الحائري القمي، فقيه جليل وعالم كبير وزعيم ديني شريف، ولد سنة (١٢٧٦هـ). جاور مدينة سامراء بعد إكماله السطوح فحضر فيها على أبرز علمائها، مثل السيد المجدد الشيرازي والسيد محمد الفشاركي الأصفهاني والميرزا محمد تقي الشيرازي وغيرهم. وسافر □ إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة مستمراً على الدرس والتدريس والإفادة. وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي يبجله ويشير إليه ويعترف بفضله ومكانته، حتى أنه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الأنظار وأحلّه مكانة سامية في النفوس، وفي رجب سنة (١٣٤٠هـ) هبط مدينة قم المشرفة بدعوة من رجال العلم فيها فأسس الحوزة العلمية فيها، بعدما أظهر عزمه الشديد على جعلها مركزاً علمياً له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائه.

توفي □ في شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٥هـ) وجرى له تشييع عظيم ودفن في رواق حرم المعصومة فاطمة □. انظر طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج ٣ ص ١١٥٨ الرقم (١٦٩٢).

الطبرسي^(٤٤) صاحب كتاب الاحتجاج وكان فاضلاً وعالمًا بل من أجل العلماء ومشاهير الفضلاء وهو غير أبي علي الطبرسي^(٤٥) صاحب تفسير مجمع البيان . وان كانا في عصر واحد . والذي هو أيضاً كان من جملة علمائنا الفاضلين وتمتع بالنزاهة والإخلاص، وكالشيخ جمال الدين المعروف بابن فهد الحلبي^(٤٦) والذي امتاز بزهده وورعه العظيم القدر وعلمه، وكان من الثقة وله مؤلفات كثيرة منها: المهذب، وعدة الداعي، وشرح الألفية والدر الفريد في التوحيد، وغيرها^(٤٧).

وليست نزاهة الإنسان مع الله هي المعيار فقط، بل لا بد وأن تكون في المجتمع فانها معيار آخر أيضاً، وبهذا يكون الإنسان موضع تقدير عند أولياء الله المعصومين □ وعند الناس؛ لأن الابتعاد عن الشيء القبيح هو المطلوب عند الله وبالتالي هو

(٤٤) هو الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، أبو منصور من علماء القرن السادس الهجري ويقال بأنه □ توفي سنة (٦٢٠هـ) يروي عنه ابن شهر آشوب، وهو □ عالم فقيه فاضل محدث ثقة كما وصفه الحر العاملي ويعتبر من أجلاء العلماء المتقدمين. له عدة كتب غير الاحتجاج، مثل: الكافي في الفقه أو الكافي من فقه الشيعة وتاريخ أئمة الإسلام وفضائل الزهراء □ وكثير غيرها.

(٤٥) هو الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي أمين الإسلام أبو علي، قيل إنه ولد في (٤٧٠هـ) وتوفي في (٥٥٢هـ) أو (٥٤٨هـ) له كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان وجوامع الجامع وتاج المواليذ وغيرها للمزيد راجع ترجمته □ في مقدمة تفسيره بقلم السيد محسن الأمين العاملي.

(٤٦) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلبي (٧٥٧ . ٨٤١هـ) ولد في الحلة قبره في كربلاء، كان □ متبحراً في البحث وبارعاً في المناظرة. وقد حاور بعض أتباع فقه أهل السنة وخصوصاً في مسألة الإمامة والقيادة، وقد تغلب على كثير من علماء أهل السنة، حتى أن حاكم العراق غير مذهبه بعد أن أذعن لأدلة ابن فهد وصار في عداد شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، له المهذب البارع إلى شرح النافع والموجز الحاوي المحرر كلها في الفقه وعدة الداعي. له □ ترجمة وافية في مقدمة كتابه (عدة الداعي).

(٤٧) لمعرفة المزيد من أحوال العلماء والعظماء راجع كتب التراجم، مثل: كتاب روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات تأليف الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري الأصبهاني، وكتاب طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر والكرام البررة للشيخ آغا بزرك الطهراني، وأعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين وغيرها من كتب الرجال.

فوز دنيوي وأخروي.

البساطة في العيش

إن انجذاب الناس إلى شخص، واكتناهم المحبة والصدقة له يأتي بسبب النزاهة، فكما أن الإنسان لا يصدق كل أحد إلا من أحرز أنه منزه عن الكذب، كذلك الناس لا يسلمون أموره وأموالهم وعواطفهم لكل أحد، إلا لمن تنزه عن القبائح وكان لاثقاً بذلك؛ لذلك أعطى الله منصب تبليغ الرسالة إلى أنزه الناس، حيث نعتقد نحن أن الأنبياء □ وعلى رأسهم النبي (صلى الله عليه وآله) هم أنزه البشر، وقد جاء في الدعاء: «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذا^(٤٨) اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم..»^(٤٩).

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينسى ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره»^(٥٠).

وفي رواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله، علمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبني الله من السماء، وأحبني أهل الأرض، قال (صلى الله عليه وآله): ارغب فيما عند الله يحبك الله، وأزهد فيما عند

(٤٨) في بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٠٤ ب ٧ ورد: إذ اخترت، ولعله هو الأصح.

(٤٩) الإقبال: ص ٢٩٥ دعاء آخر بعد صلاة العيد ويدعى به في الأعياد الأربعة.

(٥٠) الكافي: ج ٢ ص ١٦ باب الإخلاص ح ٣.

الناس يجبك الناس» (٥١).

ومن هنا نعرف أن الأنبياء والأئمة الأطهار □ . بالإضافة إلى أداء واجبهم . كانوا مكلفين بانتهاج أسلوب البساطة في العيش ولولا اختيارهم لهذا النوع من العيش ما كان الناس يعتقدون بهم وبرسالاتهم؛ فلهذا لم يكن الأنبياء □ يملكون السلطة الظاهرية عدا يوسف وسليمان □، وهم كذلك كانوا على أعلى درجات الكمال والزهد والتقوى وفي غاية النزاهة من كل الجهات.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «قال عيسى بن مريم (عليه السلام) في خطبة قام بها في بني إسرائيل: أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الأرض للوحوش والأنعام، وسراجي القمر، وفراشي التراب، ووسادتي الحجر، ليس لي بيت يخرب، ولا مال يتلف، ولا ولد يموت، ولا امرأة تحزن، أصبحت وليس لي شيء، وأمسيت وليس لي شيء، وأنا أغنى ولد آدم» (٥٢).

(٥١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٧٧ ب ٩٣ ح ٢٢٣ .

(٥٢) معاني الأخبار: ص ٢٥٢ باب معنى الزهد ح ٥ .

نزاهة الشيخ علي القمي^(٥٣) □

إن الشيخ علي القمي وبالرغم من انه لم يكن مرجعاً معروفاً . في النجف الأشرف . آنذاك، لكنه وبسبب نزاهته وزهده وطهارته، كان العلماء وحتى بعض المراجع يصلون خلفه صلاة الجماعة، فإن هذه المنزلة الرفيعة التي نالها الشيخ هي ثمرة من ثمرات الزهد والنزاهة، ويذكر في أحواله أنه كان قد تشرف إلى رؤية الإمام الحجة □.

من وصية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أبي ذر □ قال: «يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها وأخرجها منها سالماً إلى دار السلام.

يا أبا ذر، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقي إليك الحكمة»^(٥٤).

نعم، إن الزهد والنزاهة يجعلان من طلبة العلم قادة يتأسى بهم الناس لنيل رضا الله تعالى والأمن في الآخرة.

(٥٣) هو الشيخ علي بن الشيخ محمد إبراهيم بن محمد علي القمي فقيه بارع وعالم جليل وزاهد معروف كان والده من علماء عصره. ولد في طهران سنة (١٢٧٣هـ) عرف □ بالورع والتقوى والزهد في حطام الدنيا منذ نعومة أظفاره، وكان سالكاً طريق النجاة دائم الاشتغال بمجاهدة النفس والمراقبة لها، يزهد في كثير من المباحات ويعمد غالباً إلى اجتناب الأطعمة اللذيذة والألبسة الجيدة، والأفرشة الوثيرة. فقد كان يأكل الجشب ويلبس الخشن ويفترش ما يصنع من سعف النخل. كان □ شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم. كان يقيم الجماعة في مسجد الهندي فتأتم به الجموع الغفيرة ويتسابق إلى درك صلاته صفوة العلماء وأهل الفضل ونخبة الصلحاء والمعروفين بالتقوى والنسك والعبادة توفي □ سنة (١٣٧١هـ) ودفن في مقبرة الشيخ الحويزي في محلة العمارة في النجف الأشرف، راجع طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ج ٤ ص ١٣٢٣ الرقم (١٨٥٩).

(٥٤) الأمالي للشيخ الطوسي □: ص ٥٣١ المجلس ١٩ ح ١١٦٢.

رجوع إلى القائمة

إذن فعلينا أن نحمل هذه الصفات بروحية قوية ونعمل بها ظاهراً وباطناً؛ لأن العلم بلا عمل يؤدي إلى الهلاك والعقاب، وقد أشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك بقوله: «إن العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»^(٥٥).

«الهي، لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك من ذكرى إياك، على أن ذكرى لك بقدرى لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذناك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك»^(٥٦).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(٥٥) غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٦٦ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله ح ٢٦.
(٥٦) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٥١ ب ٣٢ المناجاة الثالثة عشر من مناجاة الإمام زين العابدين (عليه السلام). - مناجاة الذاكرين ..

من هدي القرآن الحكيم

الطريق إلى النزاهة

١ . الأخلاق

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٧).

وقال عزوجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٥٨).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٥٩).

وقال جل وعلا: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٠).

٢ . الصدق

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦١).

وقال عزوجل: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٦٢).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٦٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٦٤).

(٥٧) سورة القلم: ٤ .

(٥٨) سورة الأعراف: ١٩٩ .

(٥٩) سورة الفرقان: ٦٣ .

(٦٠) سورة المائدة: ١٣ .

(٦١) سورة التوبة: ١١٩ .

(٦٢) سورة الزمر: ٣٣ .

(٦٣) سورة الأحزاب: ٧٠ .

(٦٤) سورة الشعراء: ٨٤ .

٣. محاسبة النفس

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٦٥).
وقال عزوجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٦).

وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿﴾ (٦٧).
وقال جل وعلا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٦٨).

٤. التواضع

قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٦٩).
وقال عزوجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٠).
وقال سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧١).
وقال جل وعلا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٧٢).

(٦٥) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٦٦) سورة البقرة: ٢٨١.

(٦٧) سورة الشمس: ٧-١٠.

(٦٨) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٦٩) سورة المائدة: ٥٤.

(٧٠) سورة الحجر: ٨٨.

(٧١) سورة الشعراء: ٢١٥.

(٧٢) سورة الفرقان: ٦٣.

٥. الزهد

قال تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَخَزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ (٧٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٧٤).

وقال جل وعلا: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٧٥).

وقال عزوجل: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٧٦).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٧٧).

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (٧٨).

(٧٣) سورة آل عمران: ١٥٣.

(٧٤) سورة طه: ١٣١.

(٧٥) سورة الرعد: ٢٦.

(٧٦) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٧٧) سورة البقرة: ٢١٢.

(٧٨) سورة آل عمران: ١٤.

من هدي السنة المطهرة

الطريق إلى النزاهة

١. الأخلاق

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أربع من كنّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنباً بدلها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر»^(٧٩).

وقال (صلى الله عليه وآله): «حسن الخلق يثبت المودة»^(٨٠).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «نعم الإيمان جميل الخلق»^(٨١).

وقال الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): «ما يقدم المؤمن على الله عزوجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»^(٨٢).

٢. الصدق

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «..زينة الحديث الصدق»^(٨٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصدق حياة التقوى»^(٨٤).

وقال الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): «ان الله عزوجل لم يبعث نبياً إلا

(٧٩) الكافي: ج ٢ ص ١٠٧ باب الحياء ح ٧.

(٨٠) تحف العقول: ص ٤٥ ما روي عنه (صلى الله عليه وآله) في قصار هذه المعاني.

(٨١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٥ الفصل ٢ موجبات عزة النفس ح ٥٣٦٩.

(٨٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ باب حسن الخلق ح ٤.

(٨٣) الأمالي للشيخ الصدوق □: ص ٤٨٧ المجلس ٧٤ ح ١.

(٨٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٨ الفصل ٣ ح ٤٣٣٦.

بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر»^(٨٥).

وقال الإمام أبي جعفر (عليه السلام) للربيع بن سعد: «يا ربيع، إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً»^(٨٦).

٣. محاسبة الصدق

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «..إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»^(٨٧).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «من حاسب نفسه وقف على عيوبه، وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب وأصلح العيوب»^(٨٨).

وقال الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): «ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»^(٨٩).

وقال (عليه السلام): «من لم يجعل لله له من نفسه واعظاً فان مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً»^(٩٠).

٤. التواضع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما تواضع أحد إلا رفعه الله»^(٩١).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «بكثرة التواضع يتكامل

(٨٥) الكافي: ج ٢ ص ١٠٤ باب الصدق ح ١.

(٨٦) الكافي: ج ٢ ص ١٠٥ باب الصدق ح ٨.

(٨٧) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٦٣ ب ١ ح ٢٠٢١٦.

(٨٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ الفصل ١ في النفس ح ٤٧٤٨.

(٨٩) أمالي الشيخ الطوسي □: ج ١ ص ٣٦ المجلس ٢ ح ٣٨.

(٩٠) أمالي الشيخ المفيد □: ص ٢٨ المجلس ٣ ح ١٠.

(٩١) أمالي الشيخ الطوسي □: ص ٥٦ المجلس ٢ ح ٨٠.

الشرف» (٩٢).

وقال الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه» (٩٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «التواضع كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب.. ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السموات من الملائكة.. ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته» (٩٤).

٥. الزهد

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه» (٩٥).
وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة» (٩٦).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الزهد أصل الدين» (٩٧).
وقال الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام» (٩٨).

(٩٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ الفصل ٢ في موجبات عزة النفس ح ٥١٧٨.

(٩٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ باب التواضع ح ٢.

(٩٤) مصباح الشريعة: ص ٧٢ الباب ٣٢.

(٩٥) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨ ب ٢.

(٩٦) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٣٧ مجلس في الزهد والتقوى.

(٩٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧٥ الفصل ٦ في الزهد والشكر ح ٦٠٤٦.

(٩٨) الكافي: ج ٢ ص ١٢٨ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ١.

الفهرس

كلمة الناشر.....	٣
في البدء.....	٦
المعنويات وأثرها على الماديات	٧
الروايات تؤكد ذلك.....	٧
صفات العلماء العاملين.....	٩
النزاهة دروس وعبر	١١
النزاهة عند النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة □ ...	١١
القول مع العمل.....	١٥
ابن ميثم البحراني □.....	١٦
الحرام الفاضح.....	١٩
الطلاب وبساطة العيش.....	٢٠
النزاهة والمراتب العليا.....	٢٢
البساطة في العيش.....	٢٤
نزاهة الشيخ علي القمي □.....	٢٦
من هدي القرآن الحكيم.....	٢٨
من هدي السنة المطهرة.....	٣١
الفهرس.....	٣٤

رجوع إلى القائمة

[رجوع إلى القائمة](#)